الباب الثامن

أطباء العصر العثمانى

من ٩٢٢ إلى ١٢٢٠هـ

من ١٥١٧ إلى ١٨٠٥ م

obeikandl.com

مقدمة الباب الثامن

رأينـا كيف توالت العصور على مصر وكان أطولهـا بقاء عصر المماليك ولكن بموت آخر المماليك طومان باى، أو بالأحرى شنقه على باب زويلة دخلت مصر عصـراً أكثر طولاً، وأكثر ظلاماً من أى عصـر مضى، وهو عصر الحكم العثمانى الـذى امتد ٢٨٨ سـنة (١٥١٧-١٨٠٥ م). وقد تولى مصـر خلال هذه الحقبة المظلمـة ١٢٤ واليـاً، امتدت ولاية بعضهـم إلى أقل من سـنة. ولقد لاحظنا أن سـلاطين المماليك وأمراءهم قد اسـتعربوا بعد أن أسـلموا، ولذلك حافظوا على تراث العرب والإسـلام معاً. بل كان منهم الشعراء والأدباء. أما سلاطين الترك من آل عثمان وولاتهم فإنهم أسلموا ولم يستعربوا، ولذلك ضيعوا تراث العرب والإسـلام، بسـبب نزعتهم العنصرية. ونذكر هنا مقولة الشـيخ جمال الدين الأفغانى: لو استعرب الترك لعاد للإسلام مجده وعزته.

وقـد رأينا أن الطب فى مصر فى العصور السـابقة على العصر العثمانى كان ومضة باهرة من ومضات المدنية الإسـلامية التى قدمت أضخم عطاء للإنسانية، إلا أن تلـك الومضة كانـت الصحوة التى تسـبق الخمود والسـبات فى الحياة الفكرية فى العالم الإسـلامى، وفى عصر العثمانيين على رغم أنه أطول العصور التى مرت على مصر منذ الفتح الإسلامى، نجد أن عدد الأطباء الذين لم ينسهم التاريخ لا يزيد عن أحد عشر، معظمهم كان مُخْتصَراً لما قدمه الأطباء فى العصور السـابقة، أو مطبقاً لأرائهم وتجاربهم، ولم يشتهر منهم سوى داود الأنطاكى صاحب التذكرة المشهورة، وحتى بدر الدين القوصونى صاحب التآليف الكثيرة فـى الطب والمتوفى سـنة ١٥٢٤م، كان من بقايا العصر المملوكى، وقد يحسـب تابعاً له.

وقد مارس علماء الدين الطب فى كثير من الأحيان اعتماداً على ما قرءوه فى مصنفات من سبقهم من العلماء والأطباء عبر العصور السابقة.

إن التأخـر الحادث فى علوم الطب وغيرها إبان عصـر العثمانيين كان نتاج استعلاء السـلطة على الفكر، أو قل قتل السلطة للفكر فى بعض الأحوال. وفى أى زمـن مـن الأزمنة، فإن الصراع القائم بين السـلطة والفكـر هو الذى تحدد نتائجه مسـيرة الأمة وتقدمها. وعادة ما يكون الأمر بين مد وجزر، ولكنه فى العصر العثمانى كان الصراع لصالح السلطة، وبذلك ضعف الفكر وكان ذلك سبباً أساسـياً فى التخلف الحضارى إلى جانب أسـباب أخرى اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية.

وفى نهاية هذا العصر غزا بونابرت مصر وغيرها من البلاد، ورغم قصر الفترة التى احتل فيها الفرنسيون مصر، إلا أن آثارها السياسية والإجتماعية والعلمية كانت عميقة. ومازالت مجموعة الأبحاث التى نشرت فى كتاب « وصف مصر» تعد أعظم دائرة معارف وضعت لمصر حتى تاريخ كتابة ذلك الكتاب.

***

بدر الدين محمد بن محمد القوصونى

ت ٩٣١ هـ/ ١٥٢٤ م

من قيصون بمصر، ويعرف أيضا بالقيسونى زاده، وله من المؤلفات[١].

مقالة فى الحمام (يحيى باشا الجليلى، دار الكتب المصرية)

كمال الفرحة فى دفع السموم وحفظ الصحة (يحيى باشا الجليلى، ويلكم ٤٢) فى ٣٢ صفحة.

زاد المسافر فى علاج البواسير، وفى دار الكتب نسخة باسم زاد المسير فى علاج البواسير تحت رقم ٤٩٢ طب، ٤١٣ طب وفى الخزانة الملكية بالرباط. تحت رقم ٢١٩٢ تحت عنوان « زاد المسير فى علاج البواسير»[٢] وأول النسخة: « قال شيخنا ... محمد بن محمد القوصونى ... وبعد، فهذه رسالة محتوية على مباحث ... تتعلق بالعلة المعروفة بالبواسير».

والرسالة مرتبة على أربعة فصول، الأول: فى ماهية هذه العلة وأقسامها وأسبابها وعلاماتها، الثانى: فى القوانين التى يجب أن يراعيها أصحاب هذه العلة من جهة الأغذية وغيرها، الثالث: فى علاج هذه العلة، الرابع: فى الأدوية المفردة النافعة فى علاج هذه العلة مرتبة على حروف المعجم، وتنتهى الرسالة بخاتمة يستعرض فيها المؤلف المركبات المذكورة إجمالاً فى رسالته.

وقد أهدى المؤلف تصنيفه للحاكم الشرعى بإقليم المنوفية.

مختصر تذكرة السويدى (المتحف العراقى، الخزانة الملكية بالرباط ٣٢٨١).

الدرة المنجية فيما صح من الأدوية (المتحف العراقى).

رسالة فى بادزهر الحيوانى (دار الكتب المصرية).

ابن الصائغ

٨٤٤ـ ٩٤٠ هـ/١٤٤٠ـ ١٥٣٣ م

الشيخ أحمد بن إسماعيل بن صدقة الشهاب القاهرى الحنفى ويعرف بابن الصائغ. تعلم الفقه وبرع فى القضاء. وكانت له معرفة تامة فى الطب، وكان يعالج الأكابر[٣].

(١) السامرائى، تاريخ الطب ٤٩٦/٢

(٢) الخطابى، فهارس الخزانة الملكية ١٢٠/٢

(٣) أحمد عيسى، معجم الأطباء ١٠٢ –١٠٣

عبد الوهاب الشعرانى

ت ٩٧٣ هـ / ١٥٦٥ م

هـو زيـن العابدين أبو المواهـب عبد الوهاب بن أحمد بـن على الأنصارى الشـافعى المصرى المعروف بالشـعرانى. وقد اختصر تذكرة الإمام السـويدى فى الطب سنة ٩٤٣ هـ / ١٥٣٦ م. ولهذا المختصر طبعات عديدة. وأقدمها طبعة بولاق سـنة ١٢٧٥ هـ /١٨٥٨ م. ومن طبعاتها الموجودة بالقاهرة طبعة الحلبى سـنة ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧م.

وجدير بالذكر أن الشـيخ أبو إسحق إبراهيم ابن محمد المعروف بابن طرخان المتطبب (الإمام السويدى) المتوفى سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩٢ م.[1] قد ألف تذكرته المعروفة باسم تذكرة السويدى فى ثلاثة مجلدات كبار. وقد لخصه الشيخ بدر الدين محمد بن القوصونى (ت ٩٣١ هـ/ ١٥٢٤م) بحذف أسماء الأطباء وتقديم بعض الأشياء على بعض.

وفى طبعة مختصر التذكرة للشـعرانى بالقاهرة يوجد على هامشـها تذكرة شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبى الشافعى (انظر القليوبى فى هذا الكتاب).

داود الأنطاكى

ت ١٠٠٨ هـ /١٥٩٩م

داود بـن عمـر الأنطاكـى، ولد بفوعه ثم انتقل به والده إلى أنطاكية، فنشـأ بها ثم منها إلى الشـام ثم منها إلى مصر فقطن بها. وكانت له خلوة بالمدرسـة الظاهرية تجاه البيمارسـتان يجلس بها نهاراً. وقد كان كسيحاً صغير الجسم وأعمى، تعلم قراءة القرآن والأدب والطبيعيات والطب، وصار يمارس الصنعة بالتلمس والاسـتجواب. سكن مصر وهجرها واسـتوطن مكة المكرمة إلى آخر حياته، تعلم اليونانية[2]. له العديد من المؤلفات:

١- تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب والعجاب، المشـهورة باسم تذكرة الأنطاكى وهى من أشهر الكتب فـى هـذا المجال. وقد طبعت بمصر سـنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٩م وتوجد طبعـات تصويرية عديدة لهذه الطبعة.

---

(١) سنة ٦٢٠ هـ فى حاجى خليفة، ٣٨٦

(٢) كشف الظنون ٣٦٢، السامرائى، تاريخ الطب ٢/٥٠٦ - ٥٠٧، أحمد عيسى، معجم الأطباء ١٨٧-١٩٢

٢- النزهة المبهجة فى تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة (أوقاف الموصل، السيد الحكيم بالنجف، الخزانة الملكية بالرباط ١٤٩٩) طبع على هامش التذكرة بمطبعة بولاق سنة١٢٨٢هـ/١٨٦٩م.

٣- نزهة الإنسان فى إصلاح الأبدان.

٤- تذكرة الإخوان فى طب الأبدان.

٥- رسالة فى الحمام.

٦- الدرة المنتخبة فيما صح من الأدوية المجربة.

٧- غاية المرام فى تفاصيل السعادة بعد إنحلال النظام.

٨- كتاب طبقات الحكماء.

٩- مجمع المنافع البدنية (القادرية العامة - بغداد).

١٠- ألفية فى الطب.

١١- نظم القانونجة.

١٢- زينة الطروس فى أحكام العقول والنفوس.

١٣- شرح على أبيات السّهروردى التى أولها: خلعت هياكلها .....

١٤- مختصر أسواق الأشواق للبقاعى.

١٥- كفاية المحتاج في علم العلاج، أو بغية المحتاج فى المجرب من العلاج (دار الكتب المصرية).

١٦- الملكى فى طب الملوك (دار الكتب - التيمورية).

١٧- الكحل النفيس لجلاء أعين الرئيس، شرح للقصيدة العينية لابنْ سينا، وهى قصيدة عن أحوال النفس الناطقة وتعلقها إلى البدن وفراقها عنه، وأول الشرح تقدس نور الأنوار عن حصر المزايا.....

١٨- غاية المرام فى تحليل المنطق والكلام.

١٩- قواعد المشكلات.

٢٠- مختصر القانون لابن سينا.

٢١- السن الثالث إلى آخر العمر، رسالة تتألف من مقدمة قصيرة وفصلين، الفصل الأول (معرفة المزاج) والفصل الثانى (تقرير الأمراض الغالب حدوثها بعد الأربعين) منها نسخة فى الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم ١٠٤١١، ونسخة فى مكتبة سوهاج بمصر تحت رقم ٤١.

obeikandl.com

ابن الصائغ المصرى

٩٤٥ هـ - ١٠٣٦هـ / ١٥٣٨ - ١٦٢٧م

هو أحمد بن سراج الدين الملقب شهاب الدين المعروف بابن الصائغ الحنفى المصرى الشيخ الرئيس الطبيب الفاضل. انتفع فى الطب من الرئيس الشهير سرى الدين، ومات عن مشيخة الطب بدار الشفاء المنصورى ورياسة الأطباء.

ولم يعقب إلا بنتاً وتولت مكانه مشيخة الطب[١]

الحتاتى المصرى

ت ١٠٥٢ هـ / ١٦٤٢ م

محمد بن أحمد بن حسن الطنباوى الشهير بالحتاتى المصرى الحنفى، نشأ بالقاهرة وأخذ عن علمائها، ورحل إلى بلاد الروم سنة ١٠١٨ هـ / ١٦٠٩ م.

وتنقل فى المدارس وصار رئيس الأطباء بأسكى سرايا ثم رجع إلى القاهرة. تولى قضاء أسيوط ثم قضاء الجيزة، ومات سنة ١٠٥٢هـ. وله مؤلفات فى التفسير والحكمة[٢].

شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبى

ت ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٨م

وينسب إلى قليوب، وقد أخذ عن عدد كبير من علماء الدين والفقه، وكان إلى جوار علمه وتدينه وفقهه عالماً فى الطب ماهراً فى فنونه. وألف مؤلفات دينية كثيرة، كما ألف كتاباً فى الطب. وقد طبع هذا الكتاب بمصر سنة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م. ويعرف باسم: « تذكرة القليوبى». وقد طبع على هامش مختصر السويدى بمطبعة الحلبى. وهى رسالة فى الطب مشتملة على مقدمة وعشرة أبواب، أول النسخة: « الحمد لله الذى جعل نوع الإنسان أكمل الأنواع ... وبعد، فهذا مؤلف طريف ... قد جمع ما تفرق فى غيره من التصانيف، وأغنى عن مراجعة ما سواه من التآليف» وآخرها « وشرب يورث خبالاً ... ويوجب سخط الرب وينسى الشهادة عند الموت نعوذ بالله من ذلك». ومنها مخطوطة فى الخزانة الملكية بالرباط رقم ٧١٢

---

(١) أحمد عيسى، معجم الأطباء ١٠٦ - ١٠٧ ومن ريحانة الألباء للخفاجى ٢٨١

(٢) أحمد عيسى، معجم الأطباء ٣٦٦ - ٣٦٧

ونسخ عديدة بالقاهرة والمتحف العراقى وتوجد مخطوطة فى ولكم تحت رقم ١٧/، تحت عنوان « المصابيح السنية في طب خير البرية»[١].

وتوفى القليوبى بمصر ٢٧ شوال ١٠٦٩ هـ[٢].

مدين بن عبد الرحمن القوصونى

ولد سنة ٩٦٩ هـ[٣] كان حيا سنة ١٠٤٤ هـ / ١٦٣٤ م

طبيب تولى رئاسة الأطباء بدار الشفاء بمصر وألف تآليف عديدة منها: ريحان الألباء وريعان الشباب فى مراتب الأدباء، وكتاب: قاموس الأطباء وناموس الألباء فى المفردات[٤] وقد فرغ منه سنة ١٠٤٤ هـ ونشره حسنى سبح سنة ١٩٦٥ م، طيبات الأبناء فى طبقات الأطباء وتاريخ مصر، وكتاب القول الأنيس والدر النفيس على منظومة الشيخ الرئيس (مكتبة حسن حسنى عبد الوهاب)، وله كتاب: المصباح المنير على القانون الصغير، وهو شرح لكتاب القانون جك لمحمود بن عمر الجغمينى المتوفى سنة ٧٤٤ هـ / ١٣٤٤ م، يقول فيه وخدمته على الكتاب المشهور بقانون جك المنسوب لوحيد زمانه محمود بن محمد الجغمينى الذى اقتطفه من ثمار القانون الكبير للشيخ الرئيس ابن سينا. ويوجد من الكتاب نسخة فى الخزانة الملكية (٥٣٧٤) والكتاب مرتب على عشر مقالات، وقد عنى مؤلفه بشرح الألفاظ والمصطلحات الطبية والصيدلية الواردة فى كتاب القانون جك شرحاً لغوياً وعلمياً[٥].

على بن جبريل

ت ١١٧٢ هـ / ١٧٥٨ م

متطبب وشيخ دار الشفاء بالمارستان المنصورى، رئيس الرؤساء، أتقن فى الطب وشارك فى غيره من الفنون. كان أحد جلساء الأمير رضوان كتخدا الجلفى ونديمه وأنيسه وحكيمه، وكان أحد من منحت له يمين ذلك الأمير بالألوف، ومنها بيت على بركة الأزبكية ذو رونق بديع[٦].

(١) الثامرى، مجلة معهد المخطوطات العربية /٣٢/٢٧، ١٩٨٨

(٢) أحمد عيسى، معجم الأطباء ١٠١ – ١٠٢

(٣) هداية العارفية ٤٢٣/٢

(٤) أحمد عيسى، البيمارستانات ١٦٤ – ١٦٥، ومعجم الأطباء ٤٨٩ – ٤٩٠، السامرائى، تاريخ الطب ٥٣٨/٢

(٥) الخطابى، فهارس الخزانة الملكية ١٥٠/٢

(٦) أحمد عيسى، البيمارستانات ١٦٥ – ١٦٦

الدمنهورى

١٠٩٠ ـ ١١٩٢هـ/ ١٦٧٨ ـ ١٧٧٧م

أحمد الدمنهورى بن عبد المنعم بن خيام الشـافعى الحنفى المالكى الحنبلى الشـهير بالدمنهورى الشيخ الإمام وتولى مشـيخة الجامع الأزهر بعد وفاة الشـمس محمد الحنفى وله تآليف عديدة وله اليد الطولى فى سائر العلوم، فيها الكيمياء والأوفاق والهيئة والحكمة والطب، وله فى كل منها تآليف عديدة[١].

الشريف التونسى

ت ١١٩٣هـ / ١٧٧٧م

الشـريف السـيد قاسـم بن محمد التونسـى، كان إماماً فى الفنون وله يد طولى فى العلوم مثل الطب والحرف، وكان يدرس الطب بالبيمارستان المنصورى، كما تولى مشيخة رواق المغاربة بالأزهر مرتين[٢].

***

(١) احمد عيسى، معجم الأطباء ١١٠-١١١

(٢) أحمد عيسى، البيمارستانات ١٦٦

obeikandl.com